الفصل الأول في حقيقة الشوق:

هو سفر القلب في طلب محبوبه، بحيث لا يقر قراره حتىٰ يظفر به ويحصل له، وقيل: هو لهيب ينشأ بين أثناء الحشا، سببه الفرقة، فإذا وقع اللقاء أطفأ ذلك اللهيب. وقيل: الشوق هبوب القلب إلىٰ محبوب غائب.

وقال ابن خفيف: الشوق ارتياح القلوب بالوجد ومحبة اللقاء بالقرب.

وقيل: الشوق تروح القلوب نحو المحبوب من غير منازع، ويقال الشوق انتظار اللقاء بعد البعاد. فهذا الشوق إنما يكون عن غيبة من المحبوب، وأما حضوره ولقائه فلا شوق. وهذا حجة من جعل المحبة أعلىٰ من الشوق، فإن المحبة لا تزول باللقاء.

الفصل الثاني الفرق بينهما:

فإن الحامل علىٰ الشوق المحبة، ولهذا يقال: لمحبتي له اشتقت إليه وأحببته فاشتقت إلىٰ لقائه، ولا يقال: لشوقي إليه أحببته.

فالمحبة بذر في القلب، والشوق بعض ثمرات ذلك البذر، وكذلك من ثمرها: حمد المحبوب والرضىٰ عنه

وشكره وخوفه ورجاءه والمنعم بذكره والسكون إليه والأنس به والوحشة بغيره، وكل هذا من أحكام المحبة. وثمراتها. وهو حياتها.

فمنزلة الشوق بالمحبة وارتباطه بها يقع كل واحد منهما موقع صاحبه ويفهم منه ويعبر عنه[1].

خمس مسائل متعلقة بالشوق:

١- الشوق إلىٰ الله، هل يجوز طلقه علىٰ الله؟

فهذا مما لم يرد به القرآن ولا السنة بصريح لفظه. قال «صاحب منازل السائرين» وغيره: وسبب ذلك أن الشوق إنما يكون لغائب.

ومذهب هذه الطائفة قائم علىٰ المشاهدة.

وجوزت طائفة أخرىٰ، إطلاقه كما يطلق عليه سبحانه ... قالوا وإنما قولكم إن الشوق إلىٰ غائب، فهو سبحانه لا يغيب عن عبده ولا يغيب العبد عنه، فهذا حضور العلم، وأما اللقاء والقرب فأمر آخر.

قال ابن القيم رحمه الله تعالىٰ: والصواب أن يقال: إطلاقه متوقف علىٰ السمع[2]، ولم يرد به، فلا ينبغي إطلاقه، عليه سبحانه.

(١) طريق الهجرتين، صـ ٣٥٥ - ٣٥٧. (٢) السمع أي الكتاب والسنة.

واللفظ الذي أطلقه علىٰ نفسه وأخبر به عنها أتم من هذا، وأجل شأنًا هو لفظ المحبة، فإنه سبحانه يوصف من كل صفة كمال بأكملها وأجلها وأعلاها، وأشرفها فقال: ﴿**يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**﴾ [المائدة: من الآية ٥٤]، ﴿**يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**﴾ [البقرة: من الآية ٢٢٢]. ﴿**يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [البقرة: من الآية ١٩٥]، ﴿**يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**﴾ [آل عمران: من الآية ١٤٦][١].

٢- المسألة الثانية: هل يطلق علىٰ العبد أنه يشتاق إلىٰ الله وإلىٰ لقائه؟

فهذا غير ممتنع، فقد روىٰ أحمد، في مسنده، والنسائي وغيرهما من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه أنه كان من دعاء النبي ﷺ: «**اللهم بعلمك الغيب .. وأسألك الشوق إلىٰ لقائك ...**» الحديث.

فهذا فيه: إثبات النظر إلىٰ وجه الله الكريم، وشوق أحبابه إلىٰ لقائه، فإن حقيقة الشوق إليه هو الشوق إلىٰ لقائه.

قال أبو القاسم القشيري: سمعت الأستاذ أبا علي يقول: في قوله ﷺ: «**وأسألك الشوق إلىٰ لقائك**» قال: كان الشوق مائة جزء فتسعه وتسعون له، وجزء متفرق في

(١) طريق الهجرتين، صـ ٣٥٧ - ٣٥٨.

الناس فأراد أن يكون ذلك الجزء له أيضًا، فغار أن تكون شظية من الشوق في غيره.

وقال بعض العارفين: من اشتاق إلىٰ الله اشتاق إليه كل شيء.

وقال بعضهم: قلوب المشتاقين منورة بنور الله عز وجل.

وإذا كان الشوق هو سفر القلب في طلب محبوبه ونزوعه إليه فهو من أشرف مقامات العبيد وأجلها وأعلاها. ومن أنكر شوق العبد إلىٰ ربه فقد أنكر محبته له، لأن المحبة تستلزم الشوق فالمحب دائمًا مشتاق إلىٰ لقاء محبوبه: لا يهدأ قلبه ولا يقر قراره إلا بالوصول إليه.

من عرف الله أشتاق إليه، وإذا كانت المعرفة لا نهاية لها فشوق العارف لا نهاية له. هذا مع الشوق الناشيء عن طلب اللقاء والرؤية والمعرفة العيانية، فإذا كان القلب حاضرًا عند ربه وهو غير غائب عنه لم يوجب له هذا لأن لا يكون مشتاقًا إلىٰ لقائه ورؤيته.

بل هذا يكون أتم لشوقه وأعظم .. لا يزال العارف في مزيد من معرفته وشوقه والله المستعان[١].

---

(١) طريق الهجرتين، صـ ٣٦١-٣٦٢.

٣- المسألة الثالثة: هل يزول الشوق باللقاء أم يقوى؟

قالت طائفة: الشوق يزول باللقاء، لأنه طلب إذا حصل المطلوب زال الطلب، لأن تحصيل الحاصل محال.

وقال طائفة أخرىٰ: ليس كذلك بل الشوق يزيل بالوصول واللقاء ويتضاعف بالدنو واحتجت هذه الطائفة بأن الشوق الذي كان متعلقًا بلقائه وخلقه شوق آخر أعظم منه وأبلغ إلىٰ ما يزيد قربه والخطوة عنده، وأما إذا قدر أنه لقيه ثم احتجب عنه ازداد شوقه إلىٰ لقاء آخر ولا يزال يحصل له الشوق كلما احتجب عنه، فهذا لا ينقطع شوقه أبدًا، فهو إذا رآه بل شوقه برؤيته، وإذا زال عنه الطرف عاوده الشوق كما قيل:

ما يرجع الطرف عنه عند رؤيته
حتىٰ يعود إليه الطرف مشتاقًا

وإنما الشأن في دوام الشوق حال الوصول واللقاء، فأعلم أن الشوق نوعان:

١- شوق إلىٰ اللقاء فهذا يزول باللقاء.

٢- شوق في حال اللقاء، وهو تعلق الروح بالمحبوب تعلقًا لا ينقطع أبدًا فلا تزال الروح مشتاقة إلىٰ مزيد هذا

التعلق وقته اشتياقًا لا يهدأ. فالشوق في حال الوصول والقرب إلىٰ مزيد النعيم واللذة لا ينقطع والشوق في حال السير إلىٰ اللقاء ينقطع ونستغفر الله من الكلام فيما لسنا بأهل له[١].

٤- المسألة الرابعة: ما هو الفرق بين الشوق والاشتياق؟

فقال أبو عبد الرحمن السلمي: سمعت النصر آبادي يقول: للخلق كلهم مقام الشوق، وليس لهم مقام الاشتياق، ومن دخل في حال الاشتياق هام فيه حتىٰ لا يرىٰ له أثر ولا قرار. وهذا يدل علىٰ أن الاشتياق عنده غير الشوق.

ولا ريب أن الاشتياق مصدر اشتاق يشتاق اشتياقًا، مثل شاقة شوقًا إذا دعاه إلىٰ الاشتياق.

فها هنا ألفاظ الشوق والاشتياق والتشوق والمشوق والشيق: فهذه ستة ألفاظ: أحدها «الشوق» وهو في الأصل مصدر الفعل المتعدي شاقه يشوقه، ثم صار اسم مصدر الاشتياق. اللفظ الثاني: «الاشتياق» وهو مصدر اشتاق اشتياقاً، والفرق بينه وبين الشوق هو الفرق بين المصدر واسم المصدر. اللفظ الثالث: «التشوق» وهو مصدر تشوق إذا

(١) طريق الهجرتين، صـ ٣٦٢-٣٦٣.

اشتاق مرة كمال يقال: تجرع وتعلم وتفهم. وهذا البناء مشعر بالتكلف وتناول الشيء علىٰ مهله اللفظ الرابع: «الشائق» وهو الداعي للمشوق إلىٰ الاشتياق، واللفظ الخامس: «المشوق» وهو المشتاق الذي قد حصل له الشوق، اللفظ السادس: «الشيق» وهو منزلة هين ولين، وهو المشتاق..

وأما كون الاشتياق أبلغ من الشوق فهذا قد يقال فيه: إنه الأصل وهو أكثر حروفًا من الشوق وهو يدل علىٰ المصدر الفاعل وأما الشوق: ففرع عليه لأنه اسم مصدر، وأقل حروفًا وهو إنما يدل علىٰ المصدر المجرد. فهذه ثلاث فروق بينهما والله أعلم[١].

٥- المسألة الخامسة: ما هي مراتب الشوق ومنازله؟

قال صاحب منازل السائرين: هو علىٰ ثلاث درجات:

الدرجة الأولىٰ: شوق العابد إلىٰ الجنة ليأمن الخائف ويفرح الحزين ويظفر الأمل.

الدرجة الثانية: شوق الله عز وجل - زرعه الحب الذي ينبت علىٰ حافات المنن تعليق قلبه بصفاته المقدسة واشتاق إلىٰ معانيه لطائف كرمه وآيات بره وعلامة فضله وهذا شوق

(١) طريق الهجرتين، صـ ٣٦٤.

تغشاه المبار[١]. وتخالجه المسار ويقارنه الاصطبار.

والدرجة الثالثة: نار أضرمها صفو المحبة فنغصت العيش وسلبت السلو، ولم ينهنهها مقر دون اللقاء. قلت: الأولىٰ هي: شوق إلىٰ فضل الله وثوابه. والثانية: شوق إلىٰ لقائه ورؤيته، والثالثة: شوق إليه لا لعلة ولا لسبب ولا ملاحظة فيه غير ذاته.

فالأول: حظ المشتاق من إفضاله وإنعامه.

والثاني: حظه من لقائه ورؤيته.

والثالث: قد فنيت فيه الخطوط واضمحلت فيه الأقسام.

قوله في الدرجة الأولي: (ليأمن الخائف ويفرح الحزين ويظفر الأمل)، هذه ثلاث فوائد ذكرها في هذا الشوق: آمن الخائف، وفرح الحزين، والظفر بالأمل.

فهذه المقاصد لما كانت حاصلة بدخول الجنة كانت مصورة للنفس أشد الشوق إلىٰ حصول هذه المطالب وهي الفوز والفرح.

وجماع ذلك أمران:

---

(١) موضع البر والبر الخير.

الأول النجاة من كل مكروه. والثاني الظفر بكل محبوب إذ هما المشوقان إلىٰ الجنة. وقوله في الثانية: (شوقًا إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ زرعه الحب) تقدم أن الشوق ثمرة الحب.

وقوله الذي ينبت علىٰ حافات المنن: أي: أنشأه الفكر في منن الله تعالىٰ وأياديه، وأنعامه المتواترة، وفيه إشارة إلىٰ أن هذا الحب الذي هو نابت على الحافات والجوانب بعده حب أكمل منه وهو الحب الناشئ من شهود كمال الأسماء والصفات، وذلك ليس من نبات الحافات، ولكن من الحب الأول يدخل في هذا كما تقدم.

وقوله: (وهذا شوق تغشاه المبار) هو: جمع مبرة وهي البر، أي أن هذا الشوق مشحون بالبر مغشي به، وهو إما بر القلب وهو كثرة خيره، فهذا القلب أكثر القلوب خيراً. فيفعل البر تقربًا إلىٰ من هو مشتاق إليه[١].

وقال - رحمه الله -: فجمع بين هذا الدعاء العظيم القدر بين أطيب شيء في الدنيا، وهو الشوق إلىٰ لقائه، وأطيب شيء في الآخرة، وهو النظر إلىٰ وجهه سبحانه[٢].

---

(١) طريق الهجرتين، صـ ٣٦٥-٣٦٦. (٢) إغاثة اللهفان (١ / ٢٨).

قال ابن رجب – رحمه الله تعالىٰ –: الشوق إلىٰ لقاء الله درجة عالية رفيعة تنشأ من قوة المحبة لله عز وجل، وقد كان النبي ﷺ يسأل الله هذه الدرجة أخرجه الإمام أحمد وابن حبان في صحيحه والحاكم من حديث عمار رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يدعو بهذا الدعاء: «**اللهم بعلمك الغيب**.» الحديث..

من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة:

والمسئول ها هنا الشوق إلىٰ لقاء الله غير الناشئ عن هذين الأمرين، بل عن محض المحبة وقد دل قوله تعالىٰ في حق اليهود: ﴿**قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [البقرة: ٩٤].

علىٰ أن من كان علىٰ حالة حسنة من الاستعداد للقاء الله فإنه يتمنىٰ لقاء الله ويحبه، وأنه لا يكره ذلك إلا من هو مريب في أمره.

وقال سفيان: كان بالكوفة رجل متعبد من همدان فكان يقول: ما تطيب نفسي لنفسي بالموت إلا إذا ذكرت لقاء الله، فإني أجد نفسي عند ذلك تطيب بالموت لما ترجو في لقاء الله عز وجل من البركة والسرور.

قال: وقد اتفق العارفون كلهم علىٰ أن ما يحصل بعد

البعث للعارفين المحبين أكمل مما يحصل لقلوبهم في الدنيا، فإن غاية الحاصل للقلوب في الدنيا هو تجلي أنوار الإيمان في القلب، وحتىٰ يصير الغيب وكأنه شهادة.

قال: ومن أعلىٰ نعيم الجنة ما يحصل فيها من معرفة الله ومشاهدته فإن علم اليقين يصير هناك عين اليقين، وتتجدد معرفة عظيمة لم تكن موجودة قبل ذلك، بل ولم تخطر علىٰ قلب بشر وكذلك توحيد أهل الجنة ودوام ذكرهم هو من أكمل لذاتهم ولذلك يلهمون التسبيح، كما يلهمون النفس.

وقال ابن عيينة – رحمه الله –: لا إله إلا الله لأهل الجنة كالماء البارد لأهل الدنيا.

وكذلك ترنمهم بالقرآن وسماعهم له، وأعلاه سماعه من الله جل جلاله وتقدست أسماءه، فأين هذا من تلاوة أهل الدنيا وذكرهم.

وهذا مثل الصلاة: فإن العارفين في الدنيا إنما يتنعمون بما فيها من المناجاة وآثار القرب، وما يرد عليهم من الواردات في تلاوة الكتاب ونحو ذلك من نعيم القلوب وربما يستغرقون به عن الشعور بتعب الأبدان، فهذا القدر الذي حصل لهم به أكملهم من ينظر إلىٰ وجه الله عز وجل

كل يوم مرتين بكرة وعشية[١].

وقد أشار النبي ﷺ بالمحافظة على صلاة الصبح وصلاة العصر كما في حديث جرير بن عبد الله البجلي قال النبي ﷺ: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضاهون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ: ﴿**وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ**﴾ [ق: من الآية ٣٩] البخاري[٢].

قال ابن رجب -رحمه الله-: فالنعيم الحاصل لأهل الجنة بالرؤية والمخاطبة في هذين الوقتين أكمل مما كان حاصلاً في الدنيا، وكذلك صلاة الجمعة فإنهم يجتمعون في وقتها في يوم المزيد ويتجلى لهم سبحانه ويحاضرهم محاضرة.

ويتبين أن التوحيد الذي في الجنة أكمل من التوحيد الذي في الدنيا وهو جزاء له، وكذلك المعرفة والمحبة والشوق أيضاً.

وعند التحقيق يتبين أن ما حصل في الدنيا وهو جزاء له، وكذلك المعرفة والمحبة والشوق أيضاً.

وعند التحقيق يتبين أن ما حصل في الدنيا للقلوب من تجلي أنوار الإيمان يدل على عظمة ما يحصل في الجنة،

(١) استنشاق نسيم الأنس، رياض القدس، صـ ١٢٩-١٤٠.

(٢) رواه البخاري برقم (٧٤٣٤).

وليس بينهما نسبة فيتزايد بذلك الشوق إلىٰ ما وراءه، ولهذا كان النبي ﷺ يسأل ربه الشوق إلىٰ لقائه، مع أنه أكمل الخلق مشاهدة ومعرفة.

قال عبد الواحد بن زيد: يا اخوتاه ألا تبكون شوقًا إلىٰ الله عز وجل؟ ألا إنه من بكىٰ شوقًا إلىٰ سيده لم يحرمه النظر إليه.

وقال صالح المري: بلغني عن كعب أنه كان يقول: من بكىٰ اشتياقًا إلىٰ الله سبحانه أباحه النظر إليه تبارك وتعالىٰ.

وقال عثمان بن صخر العتكي: طوبىٰ لمحبي الرب الذين عبدوه بالفرح والسرور والأنس والطمأنينة، فصاروا والصفوة من الخلق والخاصة من البرية، يحنون إليه حنين الولهان، ويشتاقون إليه شوق من لا صبر لهم عنه، قد كسروا بالخوف، وروحوا بالظفر.

قال القائل:

ما نال عبد من الرحمن منزلة

أعلا من الشوق إن الشوق محمود[1]

(١) استنشاق نسيم الأنس، رياض القدس، صـ ١٤٢-١٥١.

وللقاء الله عز وجل محبة من المؤمنين، الصادقين، المشتاقين، الراغبين الراضين، الموقنين، ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه.

عن أنس عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ..**»[١].

قال الحافظ - رحمه الله -: قال العلماء: محبة الله لعبده وإرادته الخير له وهدايته إليه وإنعامه عليه، وكراهته له علىٰ الضد من ذلك.

وقال رحمه الله: سيأتي في التوحيد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه رفعه، «**قال الله عز وجل إذا أحب عبد لقائي أحببت لقاءه**» الحديث فيقين أن (من) في حديث الباب شرطية.

قال الخطابي: تضمن حديث الباب من التفسير ما فيه غنية من غيره، واللقاء يقع علىٰ أوجه، منها المعاينة، ومنها البعث، كقوله تعالىٰ: ﴿**الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ**﴾ [الأنعام: من الآية ٣١]. ومنها: الموت كقوله: ﴿**مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ**﴾ [العنكبوت: من الآية ٥]. وقوله: ﴿**قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ**

[١] البخاري برقم (٦٥٠٧). ومسلم.

الَّذي تفرُّونَ منهُ فَإنَّهُ مُلاقيكُمْ ﴾ [الجمعة: من الآية ٨]. وقال ابن الأثير في النهاية: المراد بلقاء الله هنا المصير إلىٰ الدار الآخرة وطلب ما عنده الله، وليس الغرض به الموت لأن كلاً يكرهه، فمن ترك الدنيا وأبغضها أحب لقاء الله ومن أثرها وركن إليها كره لقاء الله لأنه إنما يصل إليه بالموت.

وقد سبق ابن الأثير، أبو عبيد القاسم بن سلام فقال: ليس وجهه عندي كراهة الموت وشدته لأن هذا لا يكاد يخلو عنه أحد، ولكن المذموم من ذلك إيثار الدنيا والركون إليها وكراهية أن يصير إلىٰ الله والدار الآخرة. قال: ومما يبين ذلك أن الله عاب قوماً بحب الحياة فقال: ﴿ **إنَّ الَّذينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنَا وَرَضُوا بالْحَياةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا** ﴾ [يونس: من الآية ٧]. وقال الخطابي: معنىٰ محبة العبد للقاء الله إيثاره الآخرة علىٰ الدنيا فلا يجب استمرار الإقامة فيها بل يستعد للارتحال عنها والكراهة بضد ذلك.

وقال النووي رحمه الله: معنىٰ الحديث أن المحبة والكراهة التي تقع عند النزع في الحالة التي لا تقبل فيها التوبة حيث يكشف الحال للمحتضر ويظهر له ما هو صائر إليه[١].

(١) فتح الباري (١١ / ٣٦٥-٣٦٧).

قوله ﷺ: «**اللهم زينا بزينة الإيمان**».

زين: أي حسن. والزين: ضده الشين. وزينه: أي حسنه.

تعريف الإيمان لغة: هو الإقرار بالشيء عند تصديق به. فهو الإقرار، والاعتراف الملتزم للقبول للأخبار والإذعان للأحكام. والإيمان: قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

والإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل. والإيمان: هو الإيمان بالله عز وجل، وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر والقدر خير وشره.

قال تعالىٰ: ﴿**وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ**﴾ [الحجرات: من الآية ٧] الإيمان بالله ورسوله عليه الصلاة والسلام - فأنتم تطيعون رسول الله، وتأتمون به فيقيكم الله بذلك من العنت ما لم تطيعوه، وتتبعوه وكان يطيعكم لنا لكم وأصابكم.

﴿**وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ**﴾. يقول: وحسن الإيمان في قلوبكم فآمنتم[1].

وهذا خطاب للمؤمنين المخلصين الذين لا يكذبون

(١) تفسير الطبري (١١/ ٣٨٥).

النبي ﷺ ولا يخبرون بالباطل، أي جعل الإيمان أحب الأديان إليكم ﴿وزينه﴾ بتوفيقه، ﴿في قلوبكم﴾ أي حسنه إليكم حتىٰ اخترتموه(١).

فإذا كان المؤمن قد حبب الله إليه الإيمان وزينه في قلبه، وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان حتىٰ يعوض عن شهوة الغي بحب الله ورسوله ﷺ وما يتبع ذلك، وعن الشبهات والشهوات بالنور والهدىٰ، وأعطاه الله من القوة والقدرة ما أيده به: حيث دفع بالعلم الجهل، وبإرادة الحسنات إرادة السيئات، وبالقوة علىٰ الخير القوة علىٰ الشر في نفسه فقط(٢).

والله تعالىٰ يحبب إليكم الإيمان ويزينه في قلوبكم، بما أودع الله في قلوبكم من محبة الحق وإيثاره، وما ينصب علىٰ الحق من الشواهد والأدلة الدالة علىٰ صحته، وقبول القلوب والفطر له .. (أولئك) أي: الذين زين الله الإيمان في قلوبهم، وحببه إليهم(٣).

وقوله عليه الصلاة والسلام: «**واجعلنا هداة مهتدين**»: أي صيرنا من المهتدين وهيئنا إلىٰ الهداية، واجعلنا من الذين دلوا وأرشدوا وفقهوا.

(١) القرطبي (١٦ / ٢٦٦-٢٦٧).
(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٥ / ٤٠٠-٤٠١).
(٣) تفسير السعدي، ص ٨٠٠.

قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].

قال ابن القيم رحمه الله: وهذه أحد الفوائد في دعاء القنوت: «اللهم اهدني فيمن هديت» أي: أدخلني في هذه الزمرة، وأجعلني رفيقًا لهم ومعهم.

والفائدة الثانية: أنه توسل إلىٰ الله بنعمه، وإحسانه إلىٰ من أنعم عليه بالهداية أي: قد أنعمت بالهداية علىٰ من هديت، وكان ذلك نعمة منك. فاجعل لي نصيبًا من هذه النعمة، واجعلني واحدًا من هؤلاء المنعم عليهم. فهو توسل إليه بإحسانه.

والفائدة الثالثة: كما يقول السائل الكرمي: تصدق عليَّ في جملة من تصدقت عليهم، وعلمني في جملة من علمته، وأحسن إليَّ في جملة من شملته بإحسانك.

ولما كان سؤال الله الهداية إلىٰ الصراط المستقيم أجل المطالب، ونيله أشرف المواهب، علم الله عباده كيفية سؤاله، وأمرهم أن يقدموا بين يديه حمده والثناء عليه، وتمجيده[1].

فأهدنا إلىٰ الصراط وأهدنا في الصراط، فالهداية إلىٰ

(١) مدارج السالكين (١ / ٣٠-٣١).

الصراط: لزوم دين الإسلام، وترك ما سواه من الأديان، والهداية في الصراط تشمل الهداية لجميع التفاصيل الدينية علماً وعملاً، فهذا الدعاء من أجمع الأدعية وأنفعها للعبد، ولهذا وجب علىٰ الإنسان أن يدعو الله به في كل ركعة، لضرورة إلىٰ ذلك[١].

قوله ﷺ: «**في غير ضراء مضرة**»: الضراء: نقيض السراء. وهي الحالة التي تضر. وقيل: الضراء: النقص في الأموال والأنفس[٢]. والضراء: الحالة التي تضر وهي نقيض السراء وهما للمؤنث ولا مذكر لهما. وضراء مضرة للتأكيد.

والضراء: المرض علىٰ اختلاف أنواعه، من حمىٰ وقروح ورياح ووجع عضو، حتى الضرس والأصبع ونحو ذلك، لأن النفس تضعف والبدن يألم، وذلك في غاية المشقة علىٰ النفوس. خصوصاً مع تطاول ذلك[٣].

«**في غير ضراء**» أي: شدة. «**مضرة**» أي: غير نافعة. لأن المضرة: خلاف النافعة. قال الطيبي -رحمه الله-: متعلق الظرف مشكل، ولعله متصل بالقرينة الأخيرة: وهو قوله: والشوق إلىٰ لقائك سأل شوقاً إلىٰ الله بحيث يكون

(١) تفسير السعدي، ص ٣٩.
(٢) اللسان (٤ / ٤٨٣).
(٣) تفسير السعدي، صـ ٨٣.

ضراء غير مضرة، أي شوقًا لا يؤثر في سيري وسلوكي، وإن ضرني مضرة، ويجوز أن يتصل بقوله: «**أحيني ما علمت الحياة خيرًا لي**»، ومعنىٰ ضراء غير مضرة، الضر الذي يصبر عليه كما ورد في قوله ﷺ: «**عجبًا لأمر المؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له**» اهـ.

ومعنىٰ «**ضراء مضرة**»: الضر الذي لا صبر عليه. وقال القونوي الضراء المضرة حصول الحجاب بعد التجلي والتجلي بصفة تستلزم سدل الحجاب(١).

قوله عليه الصلاة والسلام «ولا فتنة مضلة»: فتن: جمع معنىٰ الفتنة الإبتلاء والامتحان والاختبار ... والفتنة المال، والفتنة الكفر والفتنة اختلاف الناس بالأراء، والفتنة الإحراق بالنار. وقيل الفتنة في التأويل: الظلم(٢). والفتنة المضلة: هي التي تضل صاحبها عن الصراط المستقيم. نسأل الله العافية. والفتنة المضلة: هي كل شبهة توجب الخلل أو تنقص في العلم والشهود(٣).

(١) فيض القدير (٢ / ١٨٥) ط دار الباز.
(٢) لسان العرب (١٣ / ٣١٧). (٣) فيض القدير (٢ / ١٨٥).